مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية

اسم المقال: نظريات الصراع بعد كارل ماركس: آلان تورين ورالف دارندورف انموذجاً
اسم الكاتب: أ.م.د. محمد كاظم هاشم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9656
تاريخ الاسترداد: 2026/04/10 10:54 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

Journal of Anbar University for Law and Political Sciences
مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية
P. ISSN: 2706-5804 E.ISSN: 2075-2024
Volume 15- Issue 1- March 2025 المجلد ١٥ـ العدد ١ ــ اذار ٢٠٢٥

Conflict Theories after Karl Marx: Alain Touraine and Ralph Dahrendorf as a Model

[1] Assistant Professor Dr. Mohammed Kazim Hashim
[1] University of Diyala / College of Law and Political Science
1: Email: moh_alseed86@yahoo.com
2: Email:

Abstract:

The socio-political conflict and the division into "ego and the other" are among the most important problems that the human mind has been busy understanding and determining their nature, in an effort to find an explanation for the causes of human conflicts, to search for solutions to divisions and separatism, or chronic conflicts in societies, and to find ways to manage these conflicts and promote coexistence and harmony. The study of conflict is related to understanding the nature of the relationship - or describing and analyzing it - between people who differ in their colors, origins, religions, opinions, ideas and even interests, and are divided as a result of this difference into two or more wills that are struggling to impose cultural meaning or domination, control and influence. In the preoccupation of the human mind with understanding and interpreting this duality, a number of thinkers have argued that man, just as he is forced to coexist with his brother man and form a meeting, he is also forced to be aggressive and selfish and to search for the other enemy in whom he finds himself, gives him his identity, and draws his way of living. This study examines their interpretation of the conflict in an attempt to understand the nature of the conflict and the reasons for its emergence in contemporary societies, and seeks to answer two basic questions: How did " Alain Touraine " and" Ralf Dahrendorf " explain the emergence of socio-political conflict. To what extent their interpretation of the conflict was influenced by Marxist thought

DOI
https://doi.org/10.37651/aujlps.2024.154983.1394

Submitted: 1/11/2024
Accepted: 1/11/2024
Published: 7/11/2024

Keywords:
Conflict
Culture
Karl Marx
Alain Touraine
Ralf Dahrendorf.

©Authors, 2024, College of Law University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

نظريات الصراع بعد كارل ماركس: آلان تورين ورالف دارندورف إنموذجا

[١] ا.م.د محمد كاظم هاشم
[١] جامعة ديالى/ كلية القانون والعلوم السياسية

الملخص:

يعد الصراع الاجتماعي والسياسي والانقسام إلى "الأنا والآخر" من أهم الإشكاليات التي انشغل العقل الإنساني بفهمها وتحديد طبيعتها، سعياً منه لإيجاد تفسير لأسباب الصراعات الإنسانية، وللبحث عن الحلول للانقسامات والنزعات الانفصالية، أو النزاعات المزمنة في المجتمعات، وإيجاد سبل لإدارة هذه الصراعات وتعزيز التعايش والوئام. وترتبط دراسة الصراع بفهم طبيعة العلاقة - أو وصفها وتحليلها - بين أشخاص يختلفون في ألوانهم، أصولهم، أديانهم، أراءهم وأفكارهم وحتى مصالحهم، وينقسمون على أثر هذا الاختلاف إلى إرادتين أو أكثر تتصارع على فرض المعنى الثقافي أو الهيمنة والسيطرة والنفوذ. وفي انشغال العقل الإنساني بفهم وتفسير الثنائية هذه، ذهب عدد من المفكرين إلى أن الإنسان كما هو مجبول على التعايش مع أخيه الإنسان وتكوين الاجتماع، هو مجبول أيضاً على العدوانية والأنانية وعلى البحث عن الأخر العدو الذي يجد فيه ذاته، ويمنحه هويته، ويرسم له طريقته في العيش. ولإن أبرز من بحث في الصراع كارل ماركس وآلان تورين ورالف دارندورف تبحث هذه الدراسة في تفسيرهم للصراع في محاولة لفهم طبيعة الصراع وأسباب نشأته في المجتمعات المعاصرة، وتسعى للإجابة عن سؤالين أساسيين مفادهما: كيف فسر "آلان تورين" و"رالف دارندورف" نشوء الصراع الاجتماعي- السياسي؟. وإلى أي مدى تأثر تفسيرهما للصراع بالفكر الماركسي.

الكلمات المفتاحية:

الصراع، الثقافة، كارل ماركس، آلان تورين، رالف دارندورف.

المقدمة

يدل الصراع على التحول والتغيير في ظل وجود الضد والنقيض، ويعود إلى الأصل الفلسفي القائل بأن الأشياء ليست في حالة سكون وثبات، وإنما في حال تغيير مستمرة. ونجد جذوره في الفلسفة اليونانية القديمة، التي تعتقد بإن الكون يتشكل من جزيئات، أو ذرات في حالة تغير وتبدل مستمرين. وفي العصر الحديث ذهبت مدارس فكرية إلى القول: بإن كل

شيء في الكون عبارة عن مادة حية تتطور وتتغير باستمرار، عن طريق الصراع مع نفسها، أو مع البيئة المحيطة فيها أو المتفاعلة معها. والإنسان بوصفه فرد، والمجتمع بوصفه كل، جزء من هذا العالم يتفاعلون مع ذاتهم ومحيطهم، وينتج عن هذا التفاعل أنساق ونظم وقيم اجتماعية فيها من التجديد والتطور الشيء الكثير. ويظهر الأصل الفلسفي هذا بشكل جلي في ديالكتيك هيكل وفي منطق الفلسفة الماركسية التي تعتقد إن الكون يحكمه قانون الحركة والتغيير المستمرين.

ويعد الصراع الاجتماعي والانقسام إلى "الأنا والآخر" واحدة من أهم الإشكاليات التي انشغل العقل الإنساني بفهمها وتحديد طبيعتها، سعياً منه لإيجاد تفسير لأسباب الصراعات الإنسانية، وللبحث عن الحلول للانقسامات والنزعات الانفصالية، أو النزاعات المزمنة في المجتمعات، وإيجاد سبل لإدارة هذه الصراعات وتعزيز التعايش والوئام. وترتبط دراسة الصراع بفهم طبيعة العلاقة - أو وصفها وتحليلها - بين أشخاص يختلفون في ألوانهم، أصولهم، أديانهم، أراءهم وأفكارهم وحتى مصالحهم، وينقسمون على أثر هذا الاختلاف إلى إرادتين أو أكثر تتصارع على فرض المعنى الثقافي أو الهيمنة والسيطرة والنفوذ. وفي انشغال العقل الإنساني بفهم وتفسير الثنائية هذه، ذهب عدد من المفكرين إلى أن الإنسان كما هو مجبول على التعايش مع أخيه الإنسان وتكوين الاجتماع، هو مجبول أيضاً على العدوانية والأنانية وعلى البحث عن الأخر العدو الذي يجد فيه ذاته، ويمنحه هويته، ويرسم له طريقته في العيش.

وعلى مدى التاريخ الإنساني انشغلت الكثير من الفلسفات في تشريح وتبيين طبيعة وأسباب حالة الصراع المستمرة بين أشكال الجماعات البشرية للسيطرة على بعضهما البعض. إذ عده اليونانيون صراعاً بين المدن، وعرفه الرومان بأنه صراع بين الشعوب، وذهبت الماركسية إلى فهم الصراع على أنه صراعاً طبقياً. وعلى الرغم من أهمية التفسير الماركسي للصراع بوصفه صراعاً بين الطبقات إلا أن الفكر ما بعد الماركسي ذهب إلى أن الصراع الطبقي ليس سوى شكل للصراع الاجتماعي - السياسي المتعدد الأشكال، والذي لا يقتصر على نوع واحد بل هو متعدد الأشكال: صراع مدن وطبقات، صراع أعراق، صراع أوطان، صراع ديانات ومذاهب، صراع اقتصادي، صراع حزبي، وصراع الأيديولوجيات وصراع معنى وثقافات... الخ. ووجود شكل من أشكال هذه الصراعات لا يمنع ظهور شكل آخر. وبعنوان مثال عندما نرى في وقت من الأوقات حرباً بين دول، نجد داخل مجتمعات هذه الدول الصراع الطبقي ماثلاً يرافقه صراع ديني أو انقسام مجتمعي على أساس العنوان الوطني والانقسام بين وطني وعميل.

أولاً: إشكالية الدراسة

للغوص أكثر في فهم نظريات الصراع الاجتماعي -السياسي لدى "آلان تورين" و"رالف دارندورف" وهم من المفكرين المعاصرين الذين ظهروا بعد كارل ماركس، أتت الحاجة لكتابة هذه الدارسة، والتي تحاول فهم طبيعة الصراع وأسباب نشأته في المجتمعات، وتسعى للإجابة عن سؤالين أساسيين مفادهما: كيف فسر "آلان تورين" و"رالف دارندورف" نشوء الصراع الاجتماعي- السياسي؟. وإلى أي مدى تأثر تفسيرهما للصراع بالفكر الماركسي والنظرية البنيوية الوظيفية المعاصرة؟.

ثانياً: فرضية الدراسة: تفترض الدراسة تأثر المفكرين آلان تورين ورالف دارندورف بشكل ملحوظ بمتبنيات النظرية الماركسية وتفسيرها للصراع، إلا أنهما بحكم انتماءهما لتيار وفلسفة ما بعد الحداثة المتكثرة لم يسلما بشكل كامل بتلك المتبنيات ولم يقفا عند التفسير الماركسي الأحادي للصراع، المتمثل بالصراع الطبقي بل اعتقدا بتعدد أسباب الصراع وأشكاله في المجتمعات وبينها.

ثالثاً: أهداف الدراسة: تهدف الدراسة بشكل أساس إلى فهم التفسير المعاصر للصراع بين المجتمعات وداخلها عن طريق البحث في نظريات أهم مفكري الصراع المعاصرين.

رابعاً: منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على منهج تحليل المضمون أو تحليل المحتوى عن طريق متابعة وتحليل نصوص المفكرين مورد البحث وتوجهاتهم فضلاً عن اعتمادها على المنهج المقارن.

خامساً: محاور الدراسة: بغية تحقيق الغرض من الدراسة ومعالجة الإشكالية الموضوعة قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور، الأول: الصراع عند كارل ماركس، والثاني: نظرية الصراع عند آلان تورين، أما المحور الثالث: نظرية الصراع عند رالف دارندورف.

I. المحور الأول

الصراع عند كارل ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣)

نجد من الضرورة فهم التحليل الماركسي للصراع، قبل الغوص في البحث عن نشوء الصراع وأسبابه وأشكاله عند كل من "آلان تورين" "ورالف دارندورف". إذ تعود جذور الماركسية في العصر الحديث إلى الكتابات الاشتراكية في القرنين الثامن والتاسع عشر، التي تبنت الدعوة إلى التدخل لإنقاذ الطبقة العاملة والارتقاء بمستوى أفراد هذه الطبقة كردة فعل

على ما وصفتها "الحياة البائسة" و"غير الإنسانية" لملايين البشر الذين يعيشون في شروط عمل غير صالحة.

وعلى وصف هذه الكتابات، فإن التطور الصناعي الذي حققه العالم الغربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، كان ذو تأثير عظيم على الواقع الاقتصادي والاجتماعي في المجتمعات الغربية. إذ أنتج هذا التطور ومنذ الثورة الصناعية في إنكلتراً، انقلاباً في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية. ولعل من أشد المخاطر التي تمخضت عن الثورة الصناعية، التفاوت في البنيان الاجتماعي بين من يملكون كل الحقوق والامتيازات، وبين من لا يملكون شيئاً منها. بين من يتمتعون بالحرية كامل الحرية، ومن يعيش العبودية. بين من توفرت له حياة الرفاهية، ومن يقبع في كوخ مجرد من ابسط الماديات التي تقيه حر الصيف وبرد الشتاء. بين من يتعلم ويتمتع برعاية صحية، وبين من لا يتاح له فرص التعلم ولا التأمين الصحي. بين من تراكم لديه رأس المال، وبين من لا يملك إلا كفاف يومه، وظلت هذه الهوة بين الطبقتين تتسع أكثر وأكثر، إذ كانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية لأعداد العمال تتزايد مع تدهورها وانحطاطها، بينما كانت رؤوس الأموال تتراكم في المشروعات الصناعية بدرجة كبيرة.

وفي توصيف الاشتراكية للواقع والظروف آنذاك، كان أفراد الطبقة العاملة يعيشون في النصف الأول من القرن التاسع عشر، في أكواخ متلاصقة لا تعرف النور أو الهواء، مع انتشار الأمراض والبطالة لكثافة الأعداد، مع تفضيل تشغيل النساء والأطفال على الرجال؛ لانخفاض أجورهم. وهذا الأمر أوجد خللاً في النظام الاقتصادي والاجتماعي وأحدث الفوارق الطبقية، متمثلة بطبقة الأثرياء أصحاب المصانع، وطبقة العمال الذين يعيشون في فقر مدقع. وما زاد من تفاقم المشاكل المجتمعية هذه عدم تدخل الدولة لإعادة التوازن المفقود لانتشار المنتظم الفكري الليبرالي واقتصاده الحر، وسيطرته على السلطة حينها. فضلاً عن حداثة الدولة بالحياة الصناعية وخشيتها من أن تدخلها سيعيق ويعرقل التقدم الصناعي، ولذلك ظل العمال بلا قوانين تحمي مصالحهم، وبلا إجراءات تنظم شؤونهم. إذ لم تكن هناك قوانين تحرم تشغيل الأطفال والنساء لوقت طويل ومرهق، فضلاً عن عدم وجود قوانين تكفل للعامل حقاً على رب العمل في راحة أسبوعية مدفوعة الآجر، أو تاميناً اجتماعياً أو صحياً في حال المرض أو العجز أو الشيخوخة. ولم يكن للعمال حق في تكوين النقابات التي تتولى الدفاع عن مصالحهم في مواجهة أرباب العمل، ولم يكن لهم حق في المشاركة السياسية أو الحزبية فانعدم تأثيرهم في الواقع السياسي.

وبناءً على التوصيف المتقدم لحالة المجتمع الأوربي بعد الثورة الصناعية، انطلقت الهجمات على العقيدة الاقتصادية السائدة في القرن السابع عشر والثامن عشر المتمثلة بالذهب

الفردي الحر من مدارس اشتراكية عديدة منها: المدرسة الاشتراكية الطوباوية تتقدمها كتابات "سان سيمون ١٧٦٠-١٧٨٥" ، ومدرسة "شارل فورييه ١٧٧٢-١٨٢٧" الذي دعا للاشتراكية التشاركية بإقامة مجمعات محدودة العدد منتجة يوزع ربحها على الأفراد وإدامة مشروعهم، ومدرسة "روبرت أوين ١٧٧١-١٨٥١" الذي اعتبر الليبرالية بما تنطوي عليه من البحث عن المنفعة والمنافسة الحرة منافية للطبيعة وما تمنحه من حقوق.

فتحت هذه المدارس الاشتراكية الطريق أمام (كارل ماركس ١٨١٨-١٨٨٣)([١]) لنقد الواقع القائم آنذاك وبناء عقيدته على أساس إن عملية التغيير وإنصاف الطبقة العاملة لا يمكن أن يحدث ألا من خلال العمل الثوري لا السياسي. وعلى أثر ذلك، كتب بالاشتراك مع زميله "أنجلز" البيان الشيوعي الذي شكل تحولاً جديداً في مسيرة الفلسفة الاشتراكية وحركاتها السياسية، وقد ضمناه أسس النظرية الشيوعية ومراحل حدوثها التي تمتاز عن سابقاتها من النظريات الاشتراكية بأنها بعيدة في حركتها - إلى حد ما - عن العاطفة والخيال والمثالية.

تعتقد الماركسية بفكرة جوهرية مفادها "إن الإنتاج الاقتصادي والبنية الاجتماعية، المتفرعة عنه بالضرورة، يشكلان في كل حقبة تاريخية، أساس التاريخ السياسي والفكري لهذه الحقبة؛ ولذا فإن التاريخ كله منذ انحلال الملكية المشاعة القديمة للأرض كان تاريخ الصراع بين الطبقات، كان في مختلف مراحل التطور الاجتماعي تاريخاً للصراع بين الطبقات المستغَلة والطبقات المستغِلة، بين الطبقات الحاكمة والطبقات المحكومة. لكن هذا الصراع قد بلغ الآن مرحلة أصبحت فيها الطبقة المستغَلة والمقهورة (البروليتاريا) غير قادرة على تحرير نفسها من الطبقة التي تستغلها وتقهرها (البورجوازية) إلا إذا حررت في الوقت نفسه وإلى الأبد المجتمع كله من الاستغلال والقهر ومن صراع الطبقات؛ هذه الفكرة الجوهرية تعود حصراً إلى ماركس، وإليه وحده"([٢]).

فجوهر تفسير الماركسية لحركة التاريخ يقوم على أساس إن تاريخ المجتمعات ومنذ ظهورها ليس إلا تاريخ صراع طبقي على الرغم من تنوع أشكال الصراع ومسمياته. إذ يقول ماركس: "ليس تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا سوى تاريخ صراع الطبقات. فالحر والعبد، والنبيل والعامي، والإقطاعي والقن ومعلم الحرفة والصانع، وباختصار فالظالمون

(١)- كارل هانريك ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣): فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماع ومفكر الماني من عائلة يهودية اعتنقت البروتستانتية ممن اشتهروا بعاطفة العدل الاجتماعي، وبسبب عقيدته الثورية عاش سنين طويلة في المنفى السياسي متنقلاً بين ألمانيا وهولندا وفرنسا وبريطانيا، وصف بانه زعيم الحركات العمالية في أوربا، له العديد من المؤلفات أشهرها: (رأس المال ١٨٦٧، وحول المسألة اليهودية ١٨٤٤، والبيان الشيوعي ١٨٤٨).

(٢) - ماركس – انجلز، *البيان الشيوعي*، ترجمة العفيف الأخضر، (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٥)، ص٢٨.

والمظلومون المتعارضون دوماً، خاضوا صراعاً لا ينتهي، صريحاً تارة ومستتراً تارة أخرى، صراعاً كان ينتهي دائماً إما بتغيير المجتمع كله تغييراً ثورياً وإما بانهيار كلتا الطبقتين المتصارعتين. في العصور الأولى للتاريخ نجد تقريباً في كل مكان تنظيماً كاملاً للمجتمع في طبقات متباينة، في مراتب مختلفة من الأوضاع الاجتماعية. ففي روما القديمة نجد النبلاء، فالفرسان، فالعامة فالعبيد، ونجد في العصور الوسطى الإقطاعيين الأسياد"[١] .

وقد اقتبس "ماركس" هذا التفسير لحركة التاريخ من فلسفة هيجل القائمة على الديالكتيك والجدل الفكري بين الشيء ونقيضه. إذ رأى ماركس إن تاريخ أي مجتمع هو صراع طبقات، ويعرف الطبقات انطلاقاً من مواقعها في نمط الإنتاج، ففي نمط الإنتاج الرأسمالي يحددها بثلاث مجموعات: العمال المأجورون الرأسماليون وملاك الأراضي، وهؤلاء الثلاثة يشكلون طبقات استناداً إلى مداخيلهم ومصادرها "قيمة عملهم، رأسمالهم، أراضيهم". فمصطلح الطبقة عند "كارل ماركس" انطلق من دراسته للمجتمع الرأسمالي الصناعي الأوروبي أو الأمريكي في القرن التاسع عشر، ففي دراسته لهذه المجتمعات أعتقد إن علاقة القوة بين الطبقات لا تتخذ وضعاً سكونياً، حتى قبل أن تحدث التغيرات الراديكالية، وتبرز صورة الدينامية في علاقة القوة من خلال اتخاذ أطرافها استراتيجيات متضادة، فالبرجوازية مثلاً، تحاول الحفاظ على وضعها والإبقاء على خضوع البرولتياريا عن طريق أيديولوجيا الوعي الزائف، والإعلام، وارتباطها بالنظام السياسي، بينما تحاول البروليتاريا ولو في مرحلة متأخرة وبخطى أبطأ استعادة الوعي الحقيقي، ومن ثم تجميع ذاتها لتشكل قوة مضادة قادرة على الفعل، ومن هذا المنطلق، فإن الطبقة العاملة لا تكون طبقة إلا إذا انتظمت من خلال عمل أو نشاط طبقي، فتزايد أعداد العمال قد يعتبر واحداً من مقومات نجاح هذه الطبقة، ولكن يكون لهذه الأعداد وزنها فقط عندما تتوحد بالتنظيم وتوجه بالوعي[٢].

ولفهم أسباب الصراع وتحليل الحركة الصراعية لتاريخ المجتمعات، يعتقد كارل ماركس إن أي حدث أو ظاهرة تاريخية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية، لا يمكن تفسيرها وكشف حقيقتها دون إرجاعها إلى العوامل الاقتصادية. ويفسر علة ذلك لإن العوامل الاقتصادية كانت دائماً سبباً في نشوب الحروب والاندفاع نحو الغزوات. إذ إن ظهور طبقات المجتمع حدث بسبب الملكية الفردية لوسائل الإنتاج، مما خلق طبقة مهيمنة وطبقة مهيمن عليها، أدت هذه الهيمنة إلى ظهور مؤسسة الدولة بوصفها صنيعة الطبقة الرأسمالية المهيمنة، والدولة مؤسسة غير محايدة لاهتمامها بخدمة الطبقة المهيمنة اقتصادياً.

(١) - المصدر نفسه ص٤٥-٤٦.
(٢) - محمد عبدالكريم الحوراني ، *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع* ، (عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٩)، ص٩٠.

ويكمل ماركس تفسيره الاقتصادي المادي للعلاقات الاجتماعية، إذ يعتقد إن مجموع علاقات الإنتاج تشكّل البناء الاقتصادي للمجتمع الذي يمثل الأساس الواقعي الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي والحقوقي، والذي تتطابق معه أشكال محددة من الوعي الاجتماعي. أي إن أسلوب إنتاج الحياة المادية هو شرط تقدم الحياة العقلية السياسية والاجتماعية بشكل عام. حيث أنه ليس وعي الناس الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل على العكس، إن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعي البشر. إن قوى الإنتاج المادية للمجتمع، في مرحلة محددة من تطورها، تدخل في تناقض مع علاقات الإنتاج السائدة أو - ماهي سوى تعبير حقوقي عن الشيء نفسه - مع علاقات الملكية التي كانت تعمل من خلالها قوى الإنتاج. فمن خلال أشكال تطور قوى الإنتاج تتحول علاقات الملكية إلى أغلال لهذه القوى. عندئذ، يبدأ عهد الثورة الاجتماعية[١].

وبالاستناد إلى كل ما تقدم من نصوص لماركس وتحليلاتها، يتضح إن تفسير ماركس لحركة تاريخ المجتمعات تفسيراً يستند في جوهره على وصف حركة التاريخ بأنها حركة صراع مستمرة، الأصل فيها مادي اقتصادي بين من يملكون ومن لا يملكون، مسيطرين ومسيطر عليهم، والدولة مؤسسة غير محايدة بل هي طرف في الصراع تساهم في زيادة التناقضات الاجتماعية مما يؤدي إلى زيادة هيمنة طبقة على طبقة، وإن استمرار الهيمنة الطبقية واستمرار التناقض الطبقي سيقود في نهاية الأمر وحسب العقيدة الماركسية إلى انتصار حتمي للطبقة العاملة "المستغَلة" على الطبقة المالكة "المستغِلة".

II. المحور الثاني

نظرية الصراع عند آلان تورين (١٩٢٥- ٢٠٢٣)

يعد "آلان تورين" **(Alain Touraine)** المولود في فرنسا عام ١٩٢٥ والمتوفي عام ٢٠٢٣ واحد من أبرز علماء الاجتماع المعاصرين، له كتابات وأبحاث حول مجموعة كبيرة من موضوعات علم الاجتماع، بما فيها الفعل الاجتماعي، الديمقراطية، عدم المساواة، الحركات الاحتجاجية، الحركات العمالية والسلام، إلا أن شهرته كانت ذات صلة بأعماله عن الحركات الاجتماعية ونظرية الفعل والتجديدات المنهجية في العلوم الاجتماعية[٢].

(١) - أريك فروم، *مفهوم الانسان عند ماركس*، ترجمة محمد سيد رصاص، (دمشق: دار الحصاد للنشر، ١٩٩٨)، ص٣٢ .

(٢) - جون سكوت، *خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون*، ترجمة محمود محمد حلمي، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩)، ص١٣٨.

ولفهم نظرية الصراع الاجتماعي لدى "آلان تورين"، لابد من فهم المتبنيات الفكرية والمنهجية العلمية والتصور العام لأفكاره عن طبيعة المجتمع والعناصر الحاكمة فيه. إذ يعتقد تورين بوجود ثلاثة عناصر مركزية في الحياة الاجتماعية هي: "**الذات الفاعلة**"، و"**التاريخانية**" و"**الحركات الاجتماعية**". فالذات الفاعلة هي ذات واعية ومستقلة عن المؤسسات والممارسات المنظمة، ويكون الفرد ذاتاً واعية عندما يتمكن من التأثير في محيطه وقادراً على صنع التغيير فيه، لا عندما يكون ذائباً في بيئته وخاضعاً لمحيطه. والذات الفاعلة، ليس من أهدافها الاندماج في الجماعة أو الانصهار داخلها، وإنما هي في سعي دائم للتحكم بمصيرها بأكبر قدر ممكن، ولتسيير حياتها وفق مشروعها لا وفق الأحداث المتراكمة. ومعنى ذلك أنها ليست معطى جاهزاً، وإنما هي إرادة ومشروع مقاوم لكل أشكال القهر الاجتماعي والسياسي. ولكي يتكون هذا الوعي لدى الذات الفاعلة يجب أن تظهر وتتضافر مكونات ثلاث: أولها العلاقة مع الذات، أي مع الكائن الفردي بصفته صاحب حقوق أساسية. مما يشير إلى قطيعة مع الإحالة إلى مبادئ شمولية؛ لأن الذات الفاعلة هي غاية في حد ذاتها. والثانية، إن الذات الفاعلة لا تتكون، اليوم كما بالأمس إلا إذا دخلت عمداً في نزاع مع القوى المهيمنة والتي تنكر عليها حق وإمكانية التصرف كذات فاعلة. والثالثة، أن يقترح الفرد، بصفته ذاتاً فاعلة، تصوراً عاماً للحياة الفردية(١).

أما العنصر الثاني: "التاريخانية" فهي تجميع للنماذج الثقافية، المعرفية، الاقتصادية، الأخلاقية وتاريخ النظام السياسي والمؤسساتي بأكمله، تجميع هذه النماذج بطريقة تجعل المجتمع قادراً على إنتاج وإعادة إنتاج ذاته بذاته. ويحيل مفهوم التاريخانية عند "آلان تورين" إلى التوجهات الثقافية الكبرى، التي ينظم من خلالها المجتمع علاقاته بمحيطه معيارياً، وتحيل هذه التوجهات الثقافية إلى مجموعة من التمثلات حول الحقيقة، ونموذج المعرفة، ونمط الإنتاج والأخلاق. وبعبارة أخرى يمكن القول، إن التاريخانية هي قدرة المجتمع على إنتاج وتحويل ذاته عبر إنتاج الثقافة والمعرفة والأخلاق، وهي كما يصفها تورين قطب النور الذي يهب الشكل والحركة للمواد الأولية(٢).

أما العنصر الثالث فهو "**الحركات الاجتماعية**"، وهي حسب "آلان تورين": "صراع من أجل تغيير وتحويل علاقات الهيمنة الاجتماعية الممارسة على الموارد الأساسية الثقافية، والتي تتضمن الإنتاج والمعرفة والقواعد الأخلاقية. إذ يؤدي هذا الصراع إلى إحداث تغيرات عميقة، قد تكون عبارة عن قطيعة مع النظام السياسي، أو إصلاحات مؤسساتية تتمظهر

(١) - آلان تورين، *براديغما جديدة لفهم عالم اليوم*، ترجمة جورج سليمان، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١)، ص١٩٣.

(٢) - آلان تورين، *من اجل علم الاجتماع*، ترجمة تيسير شيخ الأرض، (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٩)، ص١٩٢.

تدريجياً في أشكال التنظيم الاجتماعي والثقافي أي في علاقات السلطة".[١] وفي توضيحه لأهداف الحركات الاجتماعية يرى تورين إنها لا تهدف إلى تغيير معيار تنظيمي أو قرار مؤسساتي، وإنما تهدف بشكل أساس إلى إعادة النظر في علاقات السلطة، وفي اللامساواة في توزيعاها، التي تتمظهر وتتكرس عبر المؤسسات والتنظيمات. وهكذا فإن الحركة الاجتماعية عند تورين هي: "سلوك جماعي يسعى من خلاله الفاعلون إلى إعادة توزيع القدرة على التحكم في إنتاج المجتمع لذاته، ويتضمن هذا الفعل الدخول في صراع مع الطبقة المهيمنة التي تسيطر على هذا الإنتاج وتنسبه إلى نفسها كما توافقه مع مصالحها، وتستعمله لشرعنة هيمنتها على باقي المجتمع "[٢].

فالحركات الاجتماعية تسعى إلى التغيير والتحرر من قيود ومحددات النظام السياسية والاجتماعية، التي وضعها العنصر التاريخاني، إذ إن طبيعة الصراع تاريخانياً "مجموعات متعارضة بعضها مع بعض في صراع مركزي معتمد على خلفيات تاريخية، يحاول كل منهما توجيه الصراع ثقافياً واجتماعياً وفرضه على الأخر" [٣].

بناءً على ما تقدم، يعتقد "آلان تورين" إن تنظيم العلاقات الاجتماعية هو نتاج عمل اجتماعي، والحركات الاجتماعية هي القوى الجمعية الفاعلة في العمل الاجتماعي. وتأسيساً على ذلك، فإن الحركات الاجتماعية هي الموضوع المركزي في السوسيولوجيا المعاصرة، وهذه الرؤية على خلاف ما يقول به المذهب البنائي الوظيفي والحتمية البنيوية الماركسية.

ويشيد تورين رؤيته للصراع على نقد شديد للمذهب البنائي الوظيفي وحتمية النظرية الماركسية، إذ يعتقد إن إهمال المذهب الوظيفي للعمل الاجتماعي، يعني أنه يسمح بقبول غير منقود للمؤسسات والقيم الاجتماعية كما ترسخت في أية لحظة معينة. فأتباع الوظيفية يخفقون في رؤية كيف أن الوحدة الظاهرية للنظام الاجتماعي، لا تزيد عن أن تكون فرضاً لحركة مُسيطرة على المسيطر عليهم. كذلك فإن الماركسية تحتوي خللاً ما دامت تشارك في الحتمية التي يقول بها المذهب الوظيفي البنيوي. ومع أن الصراع مركزي في الماركسية، فإنَّه يُعزى إلى أحوال بنيوية تحتية، والبنية الاجتماعية الممكن حصولها تشرح بتعابير قوانين تاريخية تطورية، مما يفشل الإقرار بدور العمل الاجتماعي في إنتاج المجتمع. وفي حين تعزو الماركسية المصالح والدوافع إلى الفاعلين الطبقيين الذين قد لا يدركونها هم أنفسهم، لكن الماركسيين يرونها نتاج البنى الاجتماعية - الاقتصادية التي لا مهرب لهم منها، فإنّ تورين

(١) - محمد خيدون، "الذات الفاعلة والتاريخانية والحركات الاجتماعيّة عند ألان تورين"، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد ٨٢، (٢٠٢٢): ص٨٧.

(٢) - المصدر نفسه ،ص٨٧- ٨٨.

(٣) - عليوة علي، "الصراع وإدارة الصراع عند كل من آلان توران، بيار بورديو، ميشال كروزيه"، *مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية*، م٢، ع٩، (٢٠١٨): ص١٤٢.

يقول، في مناقشته، إنّه يجب النظر بجد إلى التعابير التي تقدم الحركات الاجتماعية بها نفسها كقوى فاعلة، إذا كان لا بد من فهم العمل الاجتماعي فهماً صحيحاً[١].

ومع ذلك، وبالرغم من مُعارضة تورين للماركسية، فإن مقداراً كبيراً من سوسيولوجيا الفعل التي قال بها، تأثر بالفكرة المركزية للنظرية الماركسية، وهي "كل التاريخ هو تاريخ صراع طبقي". إذ يرى تورين إن كل مجتمع مؤلّف من حركتين اجتماعيتين متضادتين، ويذهب إلى حد وصفهما بالحركتين الطبقيتين. وهو لا يرى أن هذه الطبقات تتصارع على ملكية وسائل الإنتاج في المجتمع والسيطرة عليها كما يعتقد الماركسيون، بل صراعها للسيطرة على ما يدعوه "الكينونة التاريخية" التاريخانية.

ويقول تورين بوجود صراع أساسي واحد في كل مجتمع هو بين الحركات الاجتماعية المتعارضة: الصراع بين طبقة مسيطرة استولت على "التاريخانية"، وغيرتها إلى نظام عبر التنظيم، والمسيطر عليهم الذين يُحاولون العودة إلى الاستيلاء عليها، وتحطيم الواقع القائم، والكشف عن الصراع الذي يُخفيه، وإدخال طرق جديدة في التفكير والعمل والعيش. ويوافق تورين الماركسيين على أصل الفكرة القائلة: إن الصراع الرئيس في المجتمع الصناعي، هو بين الرأسماليين والبروليتاريا، لكنه يرى أنّه من الخطأ النظر إلى ذلك الصراع بتعابير اقتصادية لا غير، بالرغم من كونه صراعاً على توزيع الموارد المادية والسيطرة عليها. فهذا الصراع في رأيه ليس إلا وسيلة للسيطرة على التاريخانية، وليس غاية في حد ذاته. وفي عالم اليوم القائم على صناعات المعرفة، التي تُعتبر فيها التربية والتعليم والتدريب والمعلومات والتصميم وما شابه مركزية للإنتاج. تعد السيطرة على المعلومات والمعرفة هي السند والداعم المباشر للصراع الاجتماعي، وفيه يكون التكنوقراطيون الطبقة المسيطرة إلى حد اعتبار أن مصالح المجتمع، ككل، تتطابق مع التطور والإدارة التكنولوجيين المُحقَّقين. أما الطبقة المضادة فلا تتألف من العمال فحسب، بل من جميع الخاضعين للسيطرة التكنوقراطية، فعلى سبيل المثال، نذكر المستهلكين أو بلُغَة أبسط "عامة الشعب"[٢].

ويرى تورين إن الصراع في المجتمع المعاصر لا يتحدد بالصراع الاقتصادي فقط، وإنما بمعارضة السيطرة السياسية والاجتماعية والثقافية وهي تتصدى للإدارة بشكل مباشر[٣]. والحركات الاجتماعية الجديدة لا تنطلق من مبدأ تغيير الأوضاع والعلاقات الاقتصادية، بل تدافع عن حرية كل فرد ومسؤوليته، فرداً كان أو ضمن جماعة، ضد منطق لا

(١) - كيت ناش، *السوسيولوجيا السياسية المعاصرة العولمة والسياسة والسلطة*، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٣)، ص٢٥٠.
(٢) - المصدر نفسه، ص٢٥١- ٢٥٢.
(٣) - آلان تورين، من اجل علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص١٩٨.

شخصي هو منطق الربح والمنافسة، وأيضاً ضد نظام قائم يقرر ما هو سوي أو شاذ، محلل أو محرم.[١]

ويشدد تورين على ضرورة الانتباه إلى مسألة مهمة في عالم اليوم وهي: "الاعتراف بتنوع التوليفات بين الحداثة والإرث الثقافي أو النظام السياسي في العالم أجمع. إذ ليس ما يبرر تقسيم العالم إلى معسكرين كما فعلت ذات يوم الأفكار السوفياتية، وكما تفعل اليوم أوساط نافذة في جميع البلدان المعتبرة حديثة. أولئك الذين يحجبون نظرهم عن رؤية تنوع التحديثات لا يدركون، من جهة، أن هناك مجتمعاً جماهيرياً يفرض سطوته في كل ميادين الإنتاج والاستهلاك والاتصال. ومن جهة أخرى ثقافات منغلقة على ذاتها، وتحديداً، على معتقداتها الدينية، لا يشكل التحديث هدفاً رئيساً لها، بل الحرب ضد قوى الهيمنة والتسلط التي تمارسها بلدان أخرى، أي ضد سيطرتها السياسية والثقافية. يبدو أن هذا الموقف المتطرف هو الذي طغى على المشهد العالمي، أكثر الأحيان، مما أعطى قوة إقناع كبرى لطرح "صاموئيل هنتينغتون" حول تصادم الحضارات والدور المركزي الذي تمارسه فيه النزاعات الدينية والإثنية، وإن يكن من شأن الدراسة المتأنية أن تقود، كما سبق وقلت، إلى حكم أكثر تمييزاً ودقة".[٢].

وفي إدامة تشريحه للصراع يضيف تورين عاملاً مهما ومركزياً في عملية الصراع هو العامل الثقافي، وبانشغاله بإضافة الثقافة إلى التحول الاجتماعي يعد أحد السباقين في السوسيولوجيا السياسية المعاصرة وذا تأثير مهم جداً في تحولات ما بعد الحداثة. إذ يعتقد أن الحركات الاجتماعية وهي تصارع - في عالم اليوم - للحصول على الأحوال الاجتماعية الخاصة بتقرير المصير الذاتي، فإنَّ المجتمع المعاصر يشغل نفسه مباشرة في الثقافة، وبمقدار أعظم من قبل. ويوضح تعريف تورين للعمل الاجتماعي أهمية العامل الثقافي في الصراع الاجتماعي المعاصر، إذ يقول: "العمل" هو "سلوك الفاعل المسترشد بتوجهات ثقافية والمتموضع في علاقات اجتماعية تعرفها رابطة غير متساوية بالسيطرة الاجتماعية لتلك التوجهات " وهو يرى السيطرة على الكينونة التاريخية تشمل السيطرة على "التوجهات الثقافية العظمى" والتي بواسطتها تُنظّم العلاقات الاجتماعية تنظيماً معيارياً" [٣].

وفي ذات السياق، يعتقد تورين إن الصراع بين الحركات الاجتماعية الذي ينتج التحول الاجتماعي، هو بصورة رئيسة صراع على التأويلات التي يُشارك بها طرفا الصراع، فإذا لم يُشارك العاملون بالقيم ذاتها، وبالمعنى الواسع لها - وهو ما يُسمّيه تورين "رهانات" الصراع

(١) - آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، مصدر سبق ذكره ، ص٢٦٥.
(٢) - المصدر نفسه، ص٢٦٨.
(٣) - المصدر نفسه ، ص٢٥٣.

- فإن الصراع لا يوصف بأنه اجتماعي. ويرى أن الثقافة لا توفر دوافع العمل الجمعي في التوجه المعياري نحو مثل هذه المسائل، كالتقدم ضدَّ التقليد" و " الكُليّة ضدَّ الخصوصية" فحسب، بل هي أيضاً الموضوع الرئيس للصراعات الطبقية، فبالنسبة إلى تورين تبدو العلاقات الاجتماعية كعلاقات سلطة ما دامت ثابتة في نماذج معينة من طريق السيطرة الطبقية. فالصراع للسيطرة على الكينونة التاريخية يحدث في الصراعات عبر الميدان الاجتماعي، حيثما تحاول السيطرة أن تفرض نفسها. لذلك، فإن نظرية تورين المتعلقة بالحركات الاجتماعية تقلل من أهمية الدولة في عملية تحول المجتمع. فهو يرى أن صراع الحركات الاجتماعية الجوهري هو في الساحة الاجتماعية، لا عبر الدولة. ويرى أن الحركات الاجتماعية قد تتورط في قتال مع النظام السياسي لتكون شريكة في الخيار مع الواقع القائم والمُضاد للتغيرات الراديكالية.[١]

وخلاصة ما تقدم، يعتقد تورين أن من الخطأ النظر إلى الصراع على أنه صراع بين طبقتي العمال وأصحاب رؤوس الأموال، أو النظر إليه بتعابير اقتصادية لا غير، بل إن الصراع في جوهره هو وسيلة للسيطرة على التاريخانية. والتي هي عبارة عن التوجهات الثقافية والمعرفية ونمط الإنتاج والأخلاق، التي بمجموعها تمكن المجتمع من إنتاج وإعادة إنتاج ذاته وكما وصفها تورين بأنها" "قطب النور التي تهب الحركة للموارد الأولية".

III. المحور الثالث

نظرية الصراع عند رالف دارندورف (١٩٢٩-٢٠٠٩)

ولد "رالف دارندورف" (Ralf Dahrendorf) في ألمانيا عام ١٩٢٩ وهو عالِم اجتماع ومفكر ورجل سياسة. درس الفلسفة وعلم الاجتماع وشغل عدة مواقع سياسية في المانيا وبريطانيا، أبرزها عضويته في البرلمان الألماني وفي مجلس اللوردات البريطاني. ويعد من أبرز منظّري علم الاجتماع المعاصرين المشتغلين بتحليل الصراع داخل المجتمعات. تمحور نتاجه الفكري حول أربعة موضوعات أساسية هي: (الطبقة ونظرية الصراع، نظرية الدور، المجتمع والديمقراطية، التحديث والحداثة). وأهم مؤلفاته هي: "بعيداً عن اليوتوبيا: نحو إعادة توجيه التحليل السوسيولوجي ١٩٥٨"، "الصراع الطبقي في المجتمع الصناعي ١٩٥٩"، مقالات عن نظرية المجتمع ١٩٦٨، "فرص الحياة ١٩٧٩" وهو آخر مؤلفاته.

تأثر دارندورف في تكوين أفكاره بآراء ونظريات العديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع الكلاسيكيين والمعاصرين، من أبرزهم: "إيميل دوركهايم"، "كار ماركس"، "ماكس فيبر" و "تالكوت بارسونز". فقد أخذ من دوركهايم تفسيره لأسباب الظواهر الاجتماعية، وهي أسباب

(١) - المصدر نفسه، ص ٢٥٣- ٢٥٤.

ترتبط بالواقع الاجتماعي الذي تنشأ فيه، معتبراً التفسيرات النفسية والفردية تفسيرات ناقصة للظواهر، لا يمكن الاعتماد عليها بمفردها في التحليل الاجتماعي[١]. وأخذ عن ماكس فيبر تحيله لدور البيروقراطية في تشكيل الهيمنة، وضرورة الإحاطة بالمصالح المادية إلى جانب القيم والفنون والمؤسسات الثقافية في عملية التحليل للإحداث والظواهر الاجتماعية[٢].

إلا إن التأثير الأعظم في أفكار دارندورف كان من نصيب كل من كارل ماركس ونظريته في الصراع الطبقي، وتالكوت بارسونز ونظريته الوظيفية. إذ تأثر دارندورف عظيم الأثر بأفكار ماركس سواءً الاجتماعية منها أو الاقتصادية، وتحديداً تحليله للطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي. إلا إن تأثره بتحليل ماركس هذا لا يعني بأي حال من الأحوال التماهي الكلي مع نظريته في الصراع. إذ لم يتفق مع ماركس في فكرته التي تقول إن أساس الصراع طبقي بين العمال ومالكي وسائل الإنتاج. ففي راي دارندورف إن الصراع ليس محصوراً بين هاتين الفئتين فقط، وإنما هناك أنواع أخرى من الصراعات مثل الصراع العنصري بين ذوي البشرة البيضاء والبشرة السوداء، والصراع الأسري بين الآباء والأبناء داخل الحياة الأسرية، والصراع المعرفي بين المدرسين والطلاب في المدارس والجامعات وغيرها. بالإضافة إلى ذلك، يرى دارندورف أن بعض أفكار ماركس لم تعد تتلاءم مع التطور الكبير الحاصل في المجتمعات المعاصرة، مقارنة بالوقت الذي كتب كارل ماركس فيه نظريته عن الصراع الاجتماعي في المجتمع الرأسمالي الكلاسيكي. فلم تعد للطبقة البرجوازية والطبقة العاملة توجهات وأهداف موحدة، بل أصبح لأفراد كل طبقة مصالح مختلفة وانتماءات متعددة بفعل التحديث والتطور. ولم يعد نظام الملكية كما كان في السابق، بل انفصلت الملكية عن الإدارة، وخرج الملاك من عملية الإنتاج وبالتالي ضعفت سلطتهم الاستغلالية. هذه التطورات – بحسب رأي دارندورف - سمحت بتحسن ظروف الطبقة العاملة الاقتصادية وارتفاع مكانتها الاجتماعية[٣].

ويظهر تأثير "بارسونز" والنظرية الوظيفية في دارندورف في اقتباس الأخير لفكرة دور الأنساق والأدوار والوظائف والمعايير والقيم الأخلاقية والثقافية في تكوين واستقرار المجتمعات. ولكنه وعلى خلاف النظرية الوظيفية، يرى أن نظام التنافر والصدام والصراع يفعل فعله في إحداث التغيير داخل المجتمع الواحد بدلاً من فرضية الإجماع الاجتماعي القائم على أرضية الثقافة. وفي هذا التحليل يظهر الفرق بين النظرية **الوظيفية ونظرية الصراع: فالوظيفية تؤكد على دور الثقافة في تحقيق التماسك الاجتماعي الطوعي للأفراد، وهي بذلك**

(١) - جون سكوت، *خمسون عالماً اجتماعيا أساسيا المنظرون المؤسسون*، ترجمة رشا جمال، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢)، ص١١٩.
(٢) - المصدر نفسه، ص٢٤٦- ٢٥٢.
(٣)أحمد زايد ، *علم الاجتماع* ، (القاهرة: دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٨)، ص ٩٦- ٩٧.

لا تأخذ بمبدأ القوة كعامل اجتماعي مركزي في تحقيق التوازن الوظيفي، وعلى خلاف ذلك تذهب نظرية الصراع إلى أن القوة هي السمة المركزية للمجتمع، وأنها الفاعل الأساسي في عملية تحقيق التضامن والتكامل. ومن هنا يرى دارندورف وعلى خلاف النظرية الوظيفية أن الأدوار الاجتماعية، والمعايير، والمواقف والاتجاهات، والمكانة الاجتماعية، والقيم، أمور يرسم حدودها الأقوياء في المجتمع وتصب في تأكيد مصالحهم(١).

وفي ذات السياق، **وعلى خلاف النظرية الوظيفية، يعتقد دارندورف بأهمية الصراع ودوره الحيوي في تحقيق التوازن في المجتمعات. ويذهب إلى الضرورة الفعالة والحيوية لوجود الصراع في عملية التحول الاجتماعي، وتغيير حالة المجتمع إلى صيغٍ مبتكرة** ومتجددة. فالصراع – كما يراه دارندورف– عنصر مهم وحيوي للمجتمع، وهو القانون الذي يدفع المجتمع إلى التطور والتفاعل والتغيير.

وبعد أن يوجه دارندورف نقده للنظرية الوظيفية لما قدمته من رؤية توافقية تكاملية وثابتة للمجتمع، قائمة على التوازن والانسجام الكامل والرافضة لمنطق الصراع، يذهب **دارندورف إلى أن للمجتمع وجهين: يُعبر الأول عن الانسجام والآخر عن الصراع،** ومن هنا يرى ضرورة التخلي عن الصورة المثالية للمجتمع والانشغال بتحليل وجوه النزاع والصراع؛ لأنها هي المحرك والدافع الأساس في عملية التغيير الاجتماعي.

وفي ضوء ذلك، يؤكد دارندورف -وعلى خلاف الوظيفيين - على أهمية الصراع ودوره الحيوي في عملية المحافظة على الكيان الاجتماعي؛ لأن تجاهل الصراع ودوره في الحياة قد يؤدي إلى كوارث اجتماعية. ويرى في هذا السياق، ضرورة تنظيم الصراع وتحديد مساراته على وفق مبدأ أن الناس لديهم اهتمامات وتطلعات مختلفة، وهم يبتكرون مؤسسات تمكنهم من التعبير عن هذه الاختلافات، وهذا الاختلاف – مقرونًا بحرية التعبير عنه – يُشكل محور الديمقراطية، وهذا يعني أن دارندورف لا ينظر إلى الديمقراطية بوصفها تشكيلا لوجهة نظر موحدة لأفراد المجتمع، بل هي **عملية تقوم على تنظيم الصراع وتحديد مساراته والتعايش مع معطياته ضمن سياقات اجتماعية قائمة على تنظيمه وتوجيه حركته**(٢).

وفي ظل كل المؤشرات المتقدمة، يظهر جلياً إن دارندورف ليس من دعاة الإطار النظري الموحد والشامل، ويرى أن توحيد النظرية غير مجدي وغير عملي ولا ينتهي بتحقيق النتائج المرجوة، ولذلك فهو من دعاة المزج بين الأطر النظرية وتحديداً المزج بين وجوه من

(1) -Ralf Dahrendorp, Class and Class Conflict in Industrial Society Stanford University Press, 1959.p36-44.

(٢) - علي اسعد وطفة، "الصراع الاجتماعي في سوسيولوجيا دارندورف؛ قراءة نقدية في ضوء النظرية الماركسية"، https://altanweeri.net/10488/

النظرية الوظيفية ونظرية الصراع الماركسية. ويعتقد إن إحداهما قادرة على تفسير ظواهر لا تستطيع الأخرى تفسيرها. على الرغم من نقده لجوانب من الأسس التي تقول عليها كل نظرية، إذ انتقد النظرية الوظيفية لاسيما تأكيدها على التوازن والاستقرار في المجتمعات من خلال وظيفة كل جزء من أجزاء المجتمع، لإن تأكيد الوظيفية المستمر على التوازن والاستقرار يفضي إلى اليوتوبيا والمثالية المطلقة؛ والصراع – حسب رأيه - محرك مهم من محركات التغيير في المجتمعات[١]. بالإضافة إلى ما تقدم وعلى الرغم من تأثره الكبير بنظرية ماركس عن الصراع إلا إنه انتقد جوانب منها وتحديداً الصراع الطبقي بين البروليتاريا ومالكي رؤوس الأموال.

انطلاقاً من هاتين النظريتين، بدأ دارندورف بتشييد نظريته الصراعية معتقداً **إن لكل مجتمع وجهان: يتجلى أحدهما في صيغة الانسجام والتوافق، ويظهر الآخر في صورة صراع وتنافر. ولا تخلو الحياة الاجتماعية من أوجه الصراع في مختلف تجلياته ومظاهره الوجودية**. ففي كل مجتمع نوعين من الأدوار، الأول: دور السلطة والحكم، ويتجلى في الفئة التي تحكم وتمتلك السلطة والسيطرة، والثاني: الفئة المحكومة والخاضعة. **فالحكام يناضلون من أجل المحافظة على الأوضاع الراهنة التي تعبر عن هيمنتهم ووضعيتهم السيادية، وعلى خلاف ذلك فإن المحكومين يناضلون من أجل إعادة توزيع السلطة والقوة طلباً للعدالة الاجتماعية والسياسية. وفي ظل ظروف معينة محددة، يزداد وعي الأفراد بالمصالح المتناقضة، ويؤدي هذا الوعي إلى عملية استقطاب الأفراد في المجتمع إلى مجموعتين متعارضتين** كل منهما تعي مصالحها الموضوعية، ومن ثم تنخرط كل منهما في معترك الصراع على السلطة والقوة والنفوذ والموارد. ولا يكون الحل إلا في إعادة توزيع السلطة بين الجماعات المتقاتلة على نحو أكثر عدلاً، وهو الأمر نفسه الذي يجعل الصراع مصدرًا للتغيير في النظم الاجتماعية القائمة[٢].

وفي تفسيره لإشكال الصراع وطبيعته وأسبابه وكيفية حدوثه، يرى رالف دارندورف إن الصراع يتخذ أشكال وأنواع مختلفة، وتختلف طبيعته من مجتمع لآخر، كما أنه يحدث نتيجة لعدم الاتفاق حول طريقة تقسيم الموارد المادية التي يتوفر عليها المجتمع، فالصراع يحدث بسبب تضارب المصالح بين المسيطرين والمسيطر عليهم، وبسبب وجود حالات من عدم الرضى حول كيفية تقسيم الموارد المادية مثل السلطة والدخل والملكية وأيضا لوجود "ما يسمى بـ "الرموز الثقافية وهو نوع من الأسباب التي تؤدي إلى انسجام بين البشر أو إلى خصام، والخصام في هذا السياق قد يتجلى في الاختلاف على مفهوم السلطة المادية. وهنا

(١) - محمد عبدالكريم الحوراني ، مصدر سبق ذكره، ص٩٥.
(٢) - علي سعيد وطفة، مصدر سبق ذكره .

يظهر سؤال من له الحق في السلطة وتملكها؟ ولماذا ؟[١]. ويعد هذا السؤال جزء مهم في تفعيل عملية الصراع.

ففي كل مجتمع يوجد حاكم ومحكوم وأمر ومأمور، وأينما وجدت القوة والسيطرة وجد الخضوع والاستغلال. والسيطرة والقهر هو ما يجعل من التنظيمات الاجتماعية متسقة، كما أنه هو أيضا الذي يدفع للتمرد والتغيير والاجتماعي لإعادة تقسيم القوة وتمركز السلطة. فالصراع دائما ما ينشأ بين مواقع السيطرة ومواقع الخضوع. وعليه فالصراع في المجتمع الصناعي يتولد من علاقات السلطة لا من علاقات الإنتاج كما قال ماركس. فإذا كان الصراع عند ماركس اقتصادياً مادياً، فإنه عند دارندورف سياسي بدرجة أكثر[٢].

إذن وفي إطار علاقات السلطة يميز دارندورف بين السيطرة والخضوع، وهما، الثنائية التي تولد الصراع، فالسيطرة تعني المشاركة في ممارسة السلطة، أما الخضوع، فيشير إلى الحرمان من السلطة، أو الاستبعاد من ممارسة السلطة. إن الصراع ينشأ بين موقع السيطرة ومواقع الخضوع، حيث أن مصالح هذه المواقع متعارضة في جوهرها وفي اتجاهها، ويؤكد دارندروف أن المصالح هنا ترتبط بالأفراد، أي رغبتهم بفعل شيء ما، وليست خاصية للموقع، وهي بهذا المعنى تمثل مصالح كامنة، تختلف عن المصالح الموضوعية المرتبطة بالمعايير المؤسسية[٣] .

ومع أن دارندورف يُقرّ بوجود الصراع الطبقي، إلا إن ذلك لم يمنعه من الاعتقاد بإن هذا الصراع يمتد ويتسع ليشمل مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، ويتجلى في السياسية والثقافة والاقتصاد والحياة اليومية. فهو يرى إن للصراع أوجهًا متنوعة ومختلفة، تتجلى في مظاهر الحياة المختلفة متجاوزة حدود الصراع الطبقي. وضمن هذا السياق، سيدخل الأفراد والجماعات في عملية مستمرة من الجدال والصراع والتنافس داخل المنتديات والهيئات والمؤسسات؛ من أجل مراكز الهيمنة والنفوذ والمصالح، وليس من أجل امتلاك رؤوس الأموال أو الثروة الاقتصادية المحضة. وعلى هذا النحو، يتخذ الصراع صورة حياة يومية مستمرة، تتجلى في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية.

(١) - زياد فيصل و مخطار ديدوش محمد، "نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق رالف دهرندوف"، *مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع*، عدد١، مجلد٢، (٢٠١٩): ص ٣٨٩.
(٢) - المصدر نفسه، ص٣٨٤
(٣) - محمد عبدالكريم الحوراني ، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

وبناءً على كل المعطيات المتقدمة، يطرح دارندورف مجموعة من الافتراضات تعد الأساس في نظريته وتتمثل في[١]: -

١- استمرار الأنظمة الاجتماعية بالصراع الناجم **عن قوى متعارضة داخل كل تكوين اجتماعي وتتمثل هذه القوى في الجماعات، الجمعيات، الهيئات والتنظيمات، التي تعبر عن المصالح المشتركة للأفراد الذين ينتمون إليها. ويحصل التسرع أو التأخير في عملية الصراع بحكم متغيرات متعددة منها متغيرات خارجية أو داخل البنية الاجتماعي ذاتها؛ وإذا ما توقف الصراع لبرهة من الزمن بفعل هذه المتغيرات فأنه سيظهر من جديد بفعل التناقضات أو الاختلاف على مقدار الهيمنة والقوة والنفوذ والمصالح** وفي النهاية سيكون هذا الصراع دافع للتغير،

٢- كل مجتمع يتضمن التعارض المؤدي إلى الصراع واللا اتفاق وهي عملية شمولية، وتعارض المصالح الناتج عن قهر بعض أعضاء المجتمع لبعضه الآخر، أو عن ظروف توزيع القوة بين القوى المسيطرة والقوى الخاضعة.

٣- كل المجتمعات عرضة لعمليات التغيير، وكل عنصر يساهم في عدم التكامل داخل النسق يؤدي إلى التغيير.

فالصراع عملية حتمية تولد القوى المتعارضة داخل التنظيمات الاجتماعية والظروف البنائية إما أن تعمل على تكثيف الصراع وتعجيله أو تثبيطه، وينتج عن الصراع موقف بنائي جديد يقود حتماً تحت ظروف اجتماعية محددة إلى نشوب الصراع بين القوى المتعارضة من جديد، وهكذا يجري الصراع الاجتماعي بصورة ديالكتيكية [٢].

وخلاصة ما تقدم، يرى دارندورف إن التنظيم الاجتماعي يتضمن نوعين من الجماعات هما الجماعة المسيطرة التي تمارس السلطة، والجماعة الخاضعة المستبعدة عن ممارسة السلطة، وهذا الوضع التفاضلي للقوة يؤدي إلى خروج الجماعة المسيطرة عن توقعات الدور المؤسسة في التنظيم، مما يثير جملة من المعاني السلبية لدى الخاضعين كالشعور بالاستغلال والخضوع وغياب العدالة الأمر الذي يؤدي إلى تبلور جماعات مصلحة معلنة، تأخذ شكل جماعات الصراع خلال فترة زمنية تحددها الظروف البنائية للتنظيم. وعندما يتشكل الصراع تنبثق ظروف بنائية جديدة، تتضمن بدورها قوى متفاضلة بسبب هرمية السلطة التنظيمية، وتعود دورة الصراع من جديد بصورة جدلية[٣].

(١) - عدلي ابو طاحون ، *في النظريات الاجتماعية المعاصرة* ، (الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث)، (ب.ت) ، ص٣٢٠

(٢) - محمد عبدالكريم الحوراني ، مصدر سبق ذكره، ص١٠٠

(٣) - المصدر نفسه، ص١٠١.

الخاتمة

بناءً على المعطيات المتقدمة في محاور الدراسة الثلاث نصل إلى نتيجة مفادها:-

١- إن كل من آلان تورين ورالف دارندورف شيدا نظريتهما للصراع على النقد الشديد للحتمية والمسار الخطي الثابت للتاريخ التي اعتقدت بها النظرية الماركسية والنظرية البنائية الوظيفية. فوفق رؤيتهما إن هذه الحتمية تزيد من هيمنة الطبقة المهيمنة، وهذا ما جعل النظرية الماركسية والنظرية البنائية الوظيفية عاجزتين عن إعطاء تفسير حركي لدور العمل الاجتماعي والفواعل الاجتماعية في إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع والتغيير الحاصل في المجتمعات الحديثة.

٢- اعتقد ماركس إن السبب الرئيس للصراع الطبقي على امتداد التاريخ هو سبب مادي، يتمثل بالصراع على ملكية وسائل الإنتاج بين فئة مالكة لها وفئة محرومة منها. بينما تتخطى رؤية آلان تورين الأسباب المادية وتعتقد أن جوهر الصراع يتمثل في محاولة السيطرة على الكينونة التاريخية، صراع على التأويل والتعبير والمعنى والقيم. وبعبارة أخرى صراع على الهيمنة المعرفية والثقافية وعلى إنتاج المعنى. ويذهب رالف دارندورف إلى إن الصراع ليس فقط نتيجة للاختلافات الاقتصادية أو الطبقية، بل هو جزء أساسي من التفاعلات الاجتماعية، والثقافة عنصراً حيوياً في الصراع الاجتماعي والسياسي.

٣-توسع النظريات المعاصرة دائرة الصراع قياساً بالنظرية الماركسية، إذ يتسع نطاق الصراع عند دارندورف ليشمل صراعات متعددة داخل المجتمع، بين جماعات مختلفة تتنافس على الموارد والسلطة والهيمنة وليس بين طبقتين اجتماعيتين فقط؛ لغياب الانسجام بين الطبقات في المجتمعات المعاصرة، بحكم التطور واختلاف التوجهات والأهداف، مما يجعل ديناميكيات الصراع أكثر تعقيدًا. والصراع محرك للتغيير وهو مستمر بين الجماعات المختلفة بوصفه جزءً طبيعياً من التفاعلات الاجتماعي. ولا ينتهي بالضرورة بثورة، أي لا توجد نهاية محددة للصراع. على عكس مما اعتقدت النظرية الماركسية من إن الصراع ينتهي بثورة وانتصار الطبقة العمالية. ويذهب آلان تورين هو الآخر إلى توسيع دائرة الصراع ليتضمن أنواعًا متعددة من الصراعات، بما في ذلك صراع الهويات الثقافية والحقوقية، وليس الصراعات الطبقية فقط، فهو يضع تركيزه على الفواعل الاجتماعية، ودورها في الحركات الاجتماعية، وكيف تؤثر في التغيير عن طريق الوعي والهوية. بعبارة أخرى يعتقد تورين بالتعددية في المجتمعات المعاصرة، مشيرًا إلى إن الصراعات تتضمن أبعادًا متنوعة تشمل الهوية، الثقافة، والسياسة.

٤-بينما أعتقد ماركس إن الدولة مؤسسة غير محايدة بوصفها طرفاً في الصراع تزيد من هيمنة الطبقة المهيمنة، ذهب آلان تورين إلى التقليل من أهمية الدولة في التحول الاجتماعي، إذ أن جوهر الصراع هو في الساحة الاجتماعية لا عبر الدولة، وهذا التحليل

يعطي تفسير للصراعات التي يكون أطرافها الحركات الاجتماعية والنظام السياسي المهيمن على الدولة.

ومن خلال كل ما تقدم، يتضح إن نظريات الصراع المعاصرة أخذت بنظر الاعتبار تعدد المجتمعات والثقافات وتنوع حاجات الإنسان، وعدم اقتصارها على الحاجات المادية - الغذاء والكساء والإشباع الجنسي – وإهمال ما عداها كما ذهبت الماركسية. إذ إن حصر مطالب الإنسان بحاجات الجسد فيه حط من قيمة الإنسان وأغفال مراحل تكامله وصراعه من اجل إثبات ذاته أو كرامته وعقيدته وقيمه، وهذا ما أخذت به نظريات الصراع المعاصرة بقولها بتعدد أسباب الصراع وأشكاله وأطرافه، مما جعل تفسيراتها للصراع أكثر مرونة قياساً بالنظرية الماركسية والنظرية البنائية الوظيفية.

المصادر

أولا: الكتب

١- أحمد زايد ، *علم الاجتماع* ، القاهرة: دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٨ .

٢- أريك فروم، *مفهوم الانسان عند ماركس*، ترجمة محمد سيد رصاص، دمشق: دار الحصاد للنشر، ١٩٩٨.

٣- آلان تورين، *براديغما جديدة لفهم عالم اليوم*، ترجمة جورج سليمان، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١.

٤- آلان تورين، *من اجل علم الاجتماع*، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٩.

٥- جون سكوت، *خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون*، ترجمة محمود محمد حلمي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩.

٦- جون سكوت، *خمسون عالماً اجتماعيا أساسيا المنظرون المؤسسون*، بيروت: ترجمة رشا جمال، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢

٧- عدلي ابو طاحون ، *في النظريات الاجتماعية المعاصرة* ، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث ، (ب.ت).

٨- كيت ناش، *السوسيولوجيا السياسية المعاصرة العولمة والسياسة والسلطة*، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٣.

٩- ماركس – انجلز، *البيان الشيوعي*، ترجمة العفيف الأخضر، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٥

١٠- محمد عبدالكريم الحوراني ، *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع* ، عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٩.

ثانيا: المجلات

١- زياد فيصل و مخطار ديدوش محمد، "نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق رالف دهرندوف"، *مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع*، عدد١، مجلد٢، (٢٠١٩).

٢- عليوة علي، "الصراع وإدارة الصراع عند كل من آلان توران، بيار بورديو"، ميشال كروزيه، *مجلة الرسالة للدراسات*.

٣- محمد خيدون، "الذات الفاعلة والتاريخانية والحركات الاجتماعيّة عند ألان تورين"، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد ٨٢، (٢٠٢٢).

ثالثا: مواقع الانترنيت

١- علي اسعد وطفة، "الصراع الاجتماعي في سوسيولوجيا دارندورف؛ قراءة نقدية في ضوء النظرية الماركسية"، https://altanweeri.net/10488/

رابعاً: المصادر باللغة الانكليزية

1- Ralf Dahrendorp, Class and Class Conflict in Industrial Society Stanford University Press, 1959.